



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

التنمية المحلية المستدامة بوصفها سبيلاً للحوار الوطني

عماد الشيخ داود



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍّ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّمُ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

التنمية المحلية المستدامة بوصفها سبيلاً للحوار الوطني

عماد الشيخ داود *

(للحصول على مواطن ناضج صالح .. عليك تعليمه ليكون كذلك في ظل مؤسسات قوية ونافعة وتشاركية)

أثبتت التجارب الدولية بأن الحقبة الأولى من التحول باتجاه الديمقراطية بعد فترات زمنية ليست بالقصيرة من الحكومات الإطلاقيه، وتكون ذات طبيعة غير مستقرة وعنيفة في كثير من الأحيان؛ ففي يوغسلافيا السابقة على سبيل المثال وبعد أول انتخابات وطنية على إثر زوال النظام الشيوعي بدأت البنادق بإطلاق رصاصاتها بين أبناء الوطن .. وفي بورندي حدثت آثار دامية راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأبرياء بعد إجراء أول انتخابات في تاريخ البلاد .. كذلك لن تخلو الثورات العربية التي أجرت انتخاباتها في مناحات حرة وصريحة من العنف عقبها.

يعود مرءً ذلك من وجهة نظر عديد من المهتمين في الشأن السياسي ودراسات التحول الديمقراطي المقترن بالعنف في أعقابه إلى فقدان أسس (السلام الديمقراطي) الذي يأتي في إطار مؤسسات قوية تضع السلطة في يد الناخب وتكسبه المقدرة على مساءلة صناع القرار في دولته الذين يدخلون في نزاعات بينية قد تصل إلى حد التوتر الشديد ولي الأذرع لكنّها لن تتطور إلى العنف والحروب الأهلية جراء وجود عملية تشريعية تؤسس لإجراءات قانونية لفض الصراع؛ وإمكانية تحقيق نتائج إيجابية في حال دخول تلك الأطراف في حوارات ثنائية أو حوار وطني شامل.. الأمر الذي تفتقده دول التحول الديمقراطي السريع ذات المؤسسات الضعيفة غير القادرة على وضع السلطة في يد الناخب.

المؤسسات الهشة وعلاقات المشاركة والعنف:

في إحدى كتاباته يُشير (صموئيل هانتنتون) إلى الطلب المتزايد على المشاركة السياسية في أعقاب التحول الديمقراطي؛ جرّاء إطلاق العنان للمواقف الشعبية التي قمعتها النظم الاستبدادية

* أستاذ السياسات العامة والنظم السياسية في كلية العلوم السياسية - جامعة النهدين.

القائمة في حقبة ما قبل الدخول في مضمار التحول المذكور؛ ما يمهّد الطريق لظهور مجموعات (إثنية، ودينية، وعشائرية، ... إلخ) كانت بعيدة عن ممارسة السلطة للمكافحة في ظل الوضع الجديد للسيطرة على مقاليد الأمور ومفاصل الدولة.. تقابلها مجموعات أخرى تكافح بالطريقة نفسها للحصول على ذات المغنم في ظل مؤسسات هشة غير قادرة على (تقديم المعلومات والدعم) المفضي إلى الدخول في دورات لسياسات عامة ناضجة ومتوازنة تخدم الجميع، وتوجّه الطلبات المتزايدة للمشاركة؛ لتحقيق المصلحة العليا للبلاد، وتأخذ بالبعد الاجتماعي في التشريع لمواجهة (الانحطاط السياسي^{1*}) وضمان قدرة المؤسسات على مقاومة عدم الاستقرار.

وفي مثل هذه الحالة تقتنص بعض المواقف الشعبية الفرصة للسيطرة على الأمور، كما حدث في يوغسلافيا السابقة حين شاهد (ميلوسيفيتش^{2**} ابن النظام السياسي اليوغسلافي) انهيار ذلك النظام وبروز قوى جديدة تسعى للمشاركة في إدارة الحكم ليجد نفسه أمام حقيقة الدخول في الانتخابات الممهدة للانتقال الديمقراطي.. ما جعله يبتكر وسيلة العزف على وتر العرقية وتسخير الميديا للتبشير بمعزوفته التي ركزت على الشبكات الاجتماعية سهلة التدافع للحصول على مبتغاها حتى وإن تجاوزت أبعاد المصلحة السياسية ممّا أحدث المأساة في يوغسلافيا ودلّل على صعوبة إبقاء السياسيين المسؤولين عن قول الحقيقة والاعتدال كما هو الحال في الديمقراطيات الراسخة، جزاء استغلال (ميلوسيفيتش) لهشاشة المؤسسات وإنشاء قنواته الخاصة المثيرة للانقسام.. ما سمح بتغليب لغة الصراع على لغة الحوار الوطني المنشود.

الحوار الوطني والأبعاد الاجتماعية:

أوضحنا فيما سلف كيف تساهم هشاشة المؤسسات في تصاعد حدة التنازع بين المواقف الشعبية المختلفة التي تكافح للمشاركة بإدارة الحكم.. الأمر الذي يحتاج إلى عمل طويل الأجل؛ لتقوية المؤسسات الاجتماعية بما يخدم المصلحة الوطنية، ويحوّل سلوكيات القوى المتدافعة نحو علاقات التعاون والتآزر وبناء الدولة على أسس تشاركية؛ تتركز على قوانين ذات رؤية تنموية مقاسة الأثر، ومؤسسات رصينة قادرة على حماية النظام ووضع السلطة في يد الناخب. في مهمة

^{1*} . ويعني الهبوط والانحدار، فلا الدساتير تُحترم، ولا القوانين يعمل بها، ولا الاتفاقيات التي تُبرم بين الأطراف المتنازعة تُحترم، وتكون فيصلا عند النزاع والخلاف، بل إن الغلبة للمتقوي بالداعم المتدخل في شأن هذه الدولة أو تلك.

^{2**} . 20 (أب 1941 - توفي 11 اذار 2006) هو سياسي يوغوسلافي وصربي راحل وكان رئيس صربيا، متهم بالفساد والابادة الجماعية

وطنية ليست بيسيرة الإنشاء وليست بعسيرة النجاح في آن واحد إذا ما جاءت النيات لخدمة الصالح العام.. عن طريق مسار (الحوار الوطني الناضج والفعال).. الذي يبدأ أولى مهماته في منافسات يسيرة؛ ثم تتطوّر لتتعلّق بالتفكير المعمّق للوصول إلى أمر مشترك يتفق عليه الفرقاء للبدء بسياسة عامة وعمل عام تخدم قيم المواطن أينما كان على خريطة الوطن؛ وتخلق اتجاهًا مشتركًا للجمهور. ذلك لأنّه فكرة إشراك المواطن فيما يجري على أرض وطنه أمر بالغ الأهمية؛ للتغلب على حالة عدم اليقين ذات الأثر البالغ في تعقيد النزاعات وصعوبة حلّها... وهو ما يحتاج إلى السير (قبل الشروع في الحوار الوطني) نحو مضمار تنمية المجتمعات المحلية التي تعرّفها الاسكوا على أنّها «عملية مستدامة تستهدف أكبر عدد من المؤسسات والجماعات والأفراد للمشاركة فيها بهدف إحداث تغيير إيجابي في الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية في عملية تغيير ارتقائي منظم للنهوض الشامل المتكامل لجميع نواحي الحياة في المجتمع المحلي يقوم بها أبنائه بنهج تشاركي ديمقراطي، بتكاتف المساعدات من خارجه».

لِمَا للعملية التنموية المذكورة من سمات إيجابية تخدم الحوار الوطني؛ لأنّها:

«عملية تغيير مخططة تقوم على التشارك بتكاملية شاملة منفتحة وتشبيكية».

بما يخدم مراحل الحوار الثلاث فيما بعد:

- التمهيدي/ بناء الثقة.
- بناء التوافق/ التوصل إلى اتفاق.
- وتنفيذ الاتفاق/ تحمل المسؤولية.

لأنّ الحوار في حد نفسه عملية تشاركية يُركّز عليها في تعزيزها على مجتمع التنمية المحلية وكذلك عملية تعليمية تحتاج إلى مخرجات المنهج التنموي المذكور؛ فضلاً عن أنّها عملية إنسانية تستند إلى وعي الناس الذي بينه لديهم عمال التنمية المحلية؛ توصف بأنّها (طويلة الأمد) لأنّ تغيير السلوكيات الذي تقوم به التنمية المحلية من واقعها السلي المنكفئ إلى الداخل إلى واقع إيجابي منفتح على الجميع يحتاج إلى مدّة من الزمن.. وعمل متواصل في الساحات، والحقول، والمصانع، والمدارس، وأماكن العبادة، ووسائل الإعلام لإحداث نقلة في أنساق القيم السائدة بما يخدم نجاح

الحوار الوطني عن طريق جملة من الإجراءات التي منها:

• تطوير قوانين الانتخابات.

• تحسين النظام التربوي والصحي.

• التخفيف من حدة الخلاف العقائدي.

• الشروع في سياسات اقتصادية فاعلة.

• توفير فرص عمل.

للارتقاء بالتشاركية في إدارة الحكم. وعليه فالحوار الوطني، والتنمية المحلية صنوان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ لبناء مجتمعات تشاركية حرة قائمة على أعمال أهداف التنمية المستدامة المرتكزة على التطبيق الناجز لمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما جاءت به الشرائع من فضائل في تكريم البشر.

مراجع الورقة:

• E/ESCWA/SSD/2009

• E/ESCWA/SSD/2012/3

• <https://www.alaraby.co.uk/opinion> في-الانخطاط-السياسي